بسم الله الرحمن الرحيم

حث المجاهدين الأخيار
على حفظ الأسرار وكتمان الأخبار

تأليف؛ أبو عمر عبد البر
رئيس اللجنة الإعلامية

من إصدارات الجماعة السلفية للدعوة والقتال
دار السنة؛ المنطقة الثانية
الجزائر



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه.

وأما بعد:

فهذا موضوع حول فضيلة من أسمى الفضائل وخصلة من أكرم الخصال وخلة من خلال المروءة والنبل الحميدة، وآية من آي الشرف والعقل وسمة من سمات المجد والرشد، تلك هي صيانة السر والمبالغة في كتمانه والحرص أن يمس.

وحسبك دليلا على منزلة هذه الخصلة في قلوب الناس قاطبة؛ إجماعهم على امتداح صاحبها، ووزنهم عقل الرجل وشرفه وهمته ومروءته بميزان حفظ السر ودفنه له.

ومما لا ريب فيه أن الناس على حفظ الأموال أقدر منهم على حفظ الأسرار وأمن، فليس كل أمين على المال حفيظا على السر، ولذلك يبلغ المرء من الجهد والنصب في تخير من يستودعه مكنون سره، ما لا يبلغ معشاره فيمن يستودعه نفيس ماله، ويخاف على سره أن يذاع أكثر مما يخاف على ماله من الضياع، لأن المال غاد ورائح، وأما السر فقد يكون في إفشائه إزهاق روح! أو انتهاك عرض!

ولما رأيت أنه قد تفشى في المجاهدين عادة عدم كتمان الأسرار العامة والخاصة، وأصبح الحديث عنها عند القريب والبعيد أمرا غير مستنكر، وما نتج عن ذلك من تأذي المجاهدين وأهاليهم وما يحصل للذين يأوون وينصرون.

دون أن نغفل مصالح الجهاد والدين، فكم من مهمة تعطل تحقيقها وذهبت أدراج الرياح بسبب بسيط ألا وهو؛ انتشار خبرها بشكل مريع فظيع ، وكم من إخوة مجاهدين تأذوا بسبب فشو سر ما تنقلوا لأجل القيام به.

وقد يتساءل معي أخي المجاهد الفاضل؛

ما السبب في ذلك يا ترى؟ وما علاجه يا أخي؟

والإجابة على ذلك لا يمكن بحال أن يتم إلا بعد المتابعة والدراسة والبحث، وما يمكنني نقله من إجابة حول هذا السؤال من خلال هذه الأسطر، هو الإشارة ابتداء إلى الآداب الشرعية في التعامل مع السر وما ينبغي لنا أن نتحلى به، ومن ذلك أحببت أن أقدم

هذه النّقول حول موضوع الأسرار وكيفية التعامل معها ومسؤولية المجاهد اتجاه ذلك، من حفظها وعدم إفشائها، سواء كانت أسرارا سمعها أو أسرارا ائتمن عليها.

وليعلم أيضا أنه ليس كل ما يعرف يقال، يقول الله تعالى: {وَ إِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الأَمْنِ أَو الخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ}، وقوله صلى الله عليه وسلم: (كفى بالمرء إثما أن يحدث بكل ما سمع).

وفقنا الله إلى ما فيه الخير الصلاح.

تعريفات

الكتمان: هو ضبط النفس ضد دوافع التعبير عما يعرف، وذلك لا يتم إلا بالصبر[1].

السر: هو كل ما تكتمه وتخفيه في نفسك ولا تطلع عليه أحدا لدفع ضرر أو لجلب مصلحة، أو تخص به من تثق به دون سواه [2].

السر: هو ما يكتمه الإنسان في صدره، وجمعه أسرار، والسريرة مثله، وجمعها سرائر [3].

كتمان السر: هو أن يضبط الكلام من الإنسان عن إظهار ما يضمره مما يضر به إظهاره وإبداؤه قبل وقته [4].

كتمان السر: هو الصبر عن إظهار ما لا يحسن إظهاره من الكلام [5].

[1] – الأخلاق الإسلامية ج2 ص358.
[2] – المنهاج ج2 ص48.
[3] – الأخلاق في الإسلام ص201.
[4] – فضل الله الصمد ص 48.
[5] – عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين لابن القيم ص17.

السر في القرآن الكريم

جاءت في كتاب الله عز وجل آيات تحث على حفظ السر، وآيات كثيرة تحكي عن أناس حفظوا أسرارهم فكانت لهم نجاة، مما يدل على ما لحفظ الأسرار من فوائد عظيمة، فضلا عن الآيات الكثيرة التي تأمر الإنسان بعدم الإكثار من الكلام، وتبين أن الإنسان محاسب على كل كلمة يقولها، إن خيرا فخير وإن شرا فشر.

و إليك أخي المجاهد الفاضل بعض الآيات الآمرة بحفظ وكتمان الأسرار :

يقول الله تعالى آمرا بحفظ العهد: {و أَوْفُوا بِالعَهْدِ إِنَّ العَهْدَ كَانَ مَسْؤُولاً}، والسر عهد، عهد إليك صاحبه بحفظه، فيجب عليك الوفاء بالعهد بكتمان سره.

وجاء في موضع آخر من كتاب الله العتاب على من أفشى سرا، وذلك في قصة النبي صلى الله عليه وسلم مع بعض أزواجه، التي نزل بسببها صدر سورة التحريم، قال الله تعالى: {و إِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلىَ بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثاً فلَمَّا نَبَأَتْ بِهِ وأَظْهَرَهُ اللهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُ وأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ... الآيات}، لقد عاتب الله عز وجل المرأة التي أفشت سر النبي صلى الله عليه وسلم وهددها هي والتي اتفقت معها وأفشت لها السر بالطلاق إلا أن يتوبا إلى الله تعالى.

" وإذ أسر النبي إلى بعض أزواجه " يعني حفصة رضي الله عنها، " حديثا " حديث تحريم مارية أو تحريم العسل، وقيل حديث إمامة الشيخين، " فلما نبأت به " أفشته إلى عائشة رضي الله عنها، " وأظهره الله عليه " وأطلع النبي صلى الله عليه وسلم على إفشائها الحديث على لسان جبرئيل عليه السلام، " عرف بعضه " بتشديد الراء في قراءة أي أعلم حفصة ببعض الحديث وأخبرها ببعض ما كان منها، " وأعرض عن بعض " أي لم يعرفها إياه ولم يخبرها به تكرما، قال سفيان: ما زال التغافل من فعل الكرام، والمعنى أن النبي صلى الله عليه وسلم أخبر حفصة ببعض ما أخبرت به عائشة وهو تحريم مارية أو تحريم العسل وأعرض عن بعض، " فلما نبأها به " أي أخبر النبي صلى الله عليه وسلم حفصة بما أفشت من السر، " وأظهره الله عليه " قالت حفصة للنبي صلى الله عليه وسلم " من أنبأك هذا " أي من أخبرك بأني أفشيت السر، " قال نبأني العليم " بالسرائر " الخبير " بالضمائر، " إن تتوبا إلى الله " خطاب لحفصة وعائشة.

أما القصص الواردة في كتاب الله تعالى في ذكر أناس حفظوا أسرارهم، فكانت سببا لسعادتهم أو نجاح أعمالهم فهي كثيرة نذكر منها:

كتمان يوسف عليه السلام عندما رأى رؤيًا؛ قال الله تعالى مبينا ما أمر به يعقوب ابنه يوسف عليه السلام: {قالَ يَا بُنَيَّ لاَ تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ} [6].

كتمان لوط عليه السلام خبر الملائكة عن قومه وامرأته؛ فقال تعالى: : {قالُوا يَالُوطُ إِناَّ رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوا إِلَيْكَ فَأَسْرِ بأهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ ولاَ يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلاَّ امْرَأَتَكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ} [7].

الكتمان عن قوم مريم عليها السلام؛ لقوله تعالى: {فَكُلِي واشْرَبِي وقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِّنَ مِنَ البَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ اليَوْمَ إِنْسِيًّا} [8].

كتمان الخضر عليه السلام على موسى عليه السلام بسبب عمله؛ وفي هذا مغزى عظيم، قال الله تعالى: {قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا * قَالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا ولاَ أَعْصِي لَكَ أَمْرًا * قَالَ فَإِنْ اتَّبَعْتَنِي فَلاَ تَسْئَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا} [9].

و هناك آيات كثيرة عدة في هذا الباب، اكتفينا بنقل ما سبق منها.

وللفائدة فقد وردت مادة سر في القرآن الكريم حوالي اثنين وثلاثين مرة، في صور مختلفة.

[6] – الآية 5 يوسف.
[7] – الآية؛ 81 هود.
[8] – الآية؛ 26 مريم.
[9] – الآيات من سورة الكهف.

السر في السنة

جاءت أحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم يحث فيها المسلمين على الكتمان ويحذر فيها من إفشاء السر، إليك طرفا منها:

قال الرسول صلى الله عليه وسلم: (استعينوا على إنجاح الحوائج بالكتمان، فإن كل ذي نعمة محسود) [10].

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما: (إذا حدث الرجل بالحديث ثم التفت فهي أمانة) [11].

إذا ما دام أن السر أمانة فيجب حفظه وعدم إفشائه وإلا كان فيمن يضيع هذه الأمانة صفة من صفات المنافقين، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه سلم، قال: (آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا ائتمن خان)، وقال الرسول صلى الله عليه وسلم: (المجالس بالأمانة) [12].

وما جاء في فتح الباري [13]:

قوله باب حفظ السر: أي ترك إفشائه.

قوله معتمر بن سليمان: هو التيمي.

قوله أسر إلى النبي صلى الله عليه وسلم سرا: في رواية ثابت عن أنس عند مسلم في أثناء حديث " فبعثني في حاجة، فأبطأت على أمي، فلما جئت قالت ما حبسك "، ولأحمد وابن سعد من طريق حميد عن أنس " فأرسلني في رسالة، فقالت أم سليم ما حبسك "، قوله " فما أخبرت به أحدا بعده، ولقد سألتني أم سليم "، في رواية ثابت " فقالت ما حاجته؟ قلت إنّها سر، قالت لا تخبر بسر رسول الله صلى الله عليه وسلم أحدا "، وفي رواية حميد عن

10 – رواه البيهقي في شعب الإيمان وصححه الألباني رحمه الله في صحيح الجامع 943.
11 – رواه أحمد وأبو داود والترمذي وحسنه الألباني رحمه الله في صحيح سنن الترمذي.
12 – حسنه الألباني رحمه الله في صحيح الجامع رقم 6678.
13 – ج11 ص 82، قرص مضغوط.

أنس: " فقالت احفظ سر رسول الله صلى الله عليه وسلم "، وفي رواية ثابت: " والله لو حدثت به أحدا لحدثتك يا ثابت ".

قال بعض العلماء: كأن هذا السر كان يختص بنساء النبي صلى الله عليه وسلم، وإلا فلو كان من العلم ما وسع أنسا كتمانه.

وقال بن بطال: الذي عليه أهل العلم، أن السر لا يباح به إذا كان على صاحبه منه مضرة، وأكثرهم يقول انه إذا مات لا يلزم من كتمانه ما كان يلزم في حياته، إلا أن يكون عليه فيه غضاضة، قلت: الذي يظهر انقسام ذلك بعد الموت إلى ما يباح وقد يستحب ذكره ولو كرهه صاحب السر، كأن يكون فيه تزكية له من كرامة أو منقبة أو نحو ذلك، وإلى ما يكره مطلقا وقد يحرم، وهو الذي أشار إليه بن بطال، وقد يجب كأن يكون فيه ما يجب ذكره كحق عليه كان يعذر بترك القيام به، فيرجى بعده إذا ذكر لمن يقوم به عنه ان يفعل ذلك، فلا يحل لأحد أن يفشي على صاحبه ما يكره. اهـ

الرسول صلى الله عليه وسلم
يربي أصحابه على حفظ الاسرار

وهذا مقام يطول فيه الحديث عنه، فإن الدروس العملية في الكتمان التي يستطيع المسلمون عموما والمجاهدون خصوصا أن يتعلموها من الرسول القائد صلى الله عليه وسلم أكثر من أن تعد وتحصى.

وسأقتصر بحول الله على نماذج قليلة من الدروس العملية المستنبطة من غزوات النبي صلى الله عليه وسلم وسراياه حتى يعرف المجاهدون حفظهم الله كيف كان النبي صلى الله عليه وسلم يعتمد أقصى درجات الكتمان في أعماله العسكرية، فقد يكون في ذلك عبرة لمن أراد الاعتبار:

عرف الرسول عليه الصلاة والسلام أهمية حفظ السر فكتمه في معظم حروبه، حتى عن ألصق الناس به، ولم يصرح لأحد بقصده إلا في غزوة تبوك لبعد الشقة وثقل المؤونة الداعيان للإستعداد ولصعوبة إيصال الأخبار إلى أهل تبوك.

قبل غزوة الخندق التي عبأ فيها المشركون عشرة آلاف مقاتل عدى اليهود لمهاجمة المدينة، كان النبي عليه الصلاة والسلام على علم بنوايا أعدائه من خلال رجال استخباراته في مكة والقبائل العربية، حفر المسلمون خندقا حول المدينة، فكان مفاجأة للمشركين حتى قالوا: والله إن هذه لمكيدة ما كانت العرب تكيدها.

هذه الوقعة لا تدل على نجاح استخبارات النبي صلى الله عليه وسلم التي عرفته بنوايا أعدائه مبكرا فحسب، وإنما تدل على حفظ السر الذي كان النبي عليه الصلاة والسلام يحرص عليه، ويعلم أصحابه بحفظه، وعلى الرغم من أن حفر الخندق استغرق حوالي عشرين يوما في المتوسط إذ كانت كافية جدا لكفار قريش واليهود لكشفه والإعلان عنه.

ولقد عمل الرسول عليه الصلاة والسلام بمبدا السرية في العام الثاني من الهجرة، لما خرج بأصحابه ودنى من بدر أمر أصحابه أن يقطعوا الأجراس من أعناق الإبل حتى لا يعلم بهم أحد.

إن الرسالة التي كتبها حاطب بن أبي بلتعة إلى قريش بخبر الفتح لدليل على عناية الرسول عليه الصلاة والسلام بكتمان الأسرار فلما علم بالرسالة أرسل من استردها من حاملتها وأحضر إليه حاطبا ليحاسبه، فاعتذر له مؤكدا إسلامه فعفا عنه.

كما بعث النبي صلى الله صلى الله عليه وسلم سرية من المهاجرين قوامها اثنا عشر رجلا بقيادة عبد الله بن جحش الأسدي رضي الله عنه للقيام بواجبات استطلاعية، وتوجهت تلك السرية نحو هدفها في رجب على رأس سبعة عشر شهرا من مهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم ومع قائدها رسالة (مكتومة) أمره الرسول صلى الله عليه وسلم ألا يفتحها إلا بعد يومين من مسيره فإذا فتحها وفهم ما فيها مضى في تنفيذها غير مستكره أحدا من أفراد قوته على مرافقته.

و كان مضمون تلك الرسالة (المكتومة) " إذا نظرت في كتابي هذا فامض حتى تنزل نخلة – مكان بين مكة والطائف – فترصد بها قريشا وتعلم من أخبارها "، وبعد يومين من مسيرة عبد الله بن جحش عن قاعدة المسلمين بالمدينة المنورة، فض تلك الرسالة (المكتومة) وأطلع رجاله على كتاب النبي صلى الله عليه وسلم، وأخبرهم بأن النبي صلى الله عليه وسلم نهاه ان يستكره أحدا منهم على مرافقته، فلم يتخلف رجل من رجاله، وسارعوا إلى تنفيذها سمعا وطاعة [14].

[14] – وهذا الذي يسعى إليه الاخوة المسؤولون في الجماعة السلفية للدعوة والقتال إلى ترسيخه وتقريره في نفوس الاخوة المجاهدين – يحفظهم الله – وأن نتعاون جميعا في إخفاء أسرار جهادنا عن أعدائنا، وأن لا نتحرج في عدم الإجابة عن أسئلة متعلقة بأسرار سواءا كانت أسرارا سمعناها أو ائتمنا عليها أو مهاما كلفنا بها، حتى ولو كان السائل من أقرب الناس إلينا، ومما لاحظته من حالنا هو العكس! كيف ذلك؟
إذا سألنا أحدا أسئلة تعلقت بأسرار، وتعامل المسؤول – أي الذي سُئل – مع ذلك بعدم الإجابة وعمل بالآداب الشرعية، شنعنا عليه، واتهمناه بالتكلف وإخفاء ما هو معلوم – حسب زعمنا – والأصل عدم الإجابة والبوح بشيء من ذلك ولو كان الأمر مذاعا معلوما، فهي أمانة ولا يهمني إن كان الأمر شائعا أو غير شائع! فلا تزر وازرة وزر أخرى.
كما أنصح نفسي وإخواني المجاهدين الأفاضل بالابتعاد عن مواطن إشاعة الأسرار وذلك بكثرة الأسئلة والاستفسار عن أمور لا تهمهم، وإحراج بعضهم البعض، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه " وإذ ذكرت هذا الكلام، فنحن لا نتهم أحدا بالعمالة والجوسسة والشبهة! وحري بكل مجاهد أراد تحقيق السلفية علما وعملا، منهجا وسلوكا – وربما كان جاهلا لبعض آداب الأسرار والكتمان – أن يضيف إلى رصيده العلمي بعضا مما نقلناه في هذه الوريقات، والمراجع بحمد الله متوفرة وطلب العلم متيسر فمن أراد الاستزادة فليعزم وليتوكل والله المستعان وعليه التكلان، ولو أن تركيزنا حتى يعلم المجاهد الخيّر الفاضل هو على الجوانب العسكرية الحربية، ومقامنا هنا هو مقام تذكير

وهنا إشارة أو ملاحظة، وددت ذكرها مع هذا الدرس النبوي من عبق سيرة رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم؛ هل يسير تنفيذ أعمالنا العسكرية خصوصا ومهامنا الجهادية عموما على وفق ما تم مع عبد الله بن جحش الأسدي رضي الله عنه؟ نترك البحث عن الإجابة للإخوة المجاهدين!

لقد ابتكر رسول الله صلى الله عليه وسلم أسلوب الرسائل المكتومة للمحافظة على الكتمان الشديد، ولحرمان أعداء المسلمين من الحصول على المعلومات التي تفيدهم عن تحركات المسلمين، وبذلك أخفى نياته عن العدو والصديق، لقد سبق المسلمون غيرهم في ابتكار هذا الأسلوب الدقيق للكتمان، قبل أن يفطن إليه الألمان ويستعملونه في الحرب العالمية الثانية (1939 - 1945).

وفي قصة غزو الصحابة لبني أسد درس آخر في الكتمان حيث أمرهم بالسير ليلا والاستخفاء نهارا وسلوك طريق غير مطروقة، حتى لا يطلع أحد على أخبارهم ونياتهم، فباغتوا بذلك بني أسد في وقت لا يتوقعونه، وغنموا منهم الغنائم الكثيرة.

والطريقة نفسها استخدمها الرسول صلى الله عليه وسلم في غزوة دومة الجندل، ممّا جعل النصر حليف المسلمين.

وكذلك في غزوة الأحزاب كتم النبي صلى الله عليه وسلم إسلام نعيم بن مسعود وأمره بكتمه وقال له: إنما أنت رجل واحد، فخذل عنا ما استطعت، فإن الحرب خدعة، فعمل نعيم رضي الله عنه على تفريق كلمة الأحزاب وزوال الثقة بينهم.

ومن كتمانه صلى الله عليه وسلم أنه إذا أراد غزوة ورى بغيرها، ففي غزوة بني لحيان أظهر أنه يريد الشام ثم اتجه جنوبا حتى يباغتهم... ثم أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة ذا الحجة والمحرم وصفرا وشهري ربيع، وخرج في جمادى الأولى على رأس ستة أشهر من فتح بني قريظة إلى بني لحيان يطلب بأصحاب الرجيع: خبيب بن عدي وأصحابه رضي الله عنهم، وأظهر أنه يريد الشام ليصيب من القوم غرة، فخرج من المدينة فسلك على غراب - جبل بناحية المدينة - على طريقه إلى الشام ثم على محيص ثم على البتراء ثم صفق - عدل وانصرف - ذات اليسار، فخرج على بين - واد قرب المدينة - ثم على صخيرات

ونصح وتوجيه بما جرّبناه وعشناه وخضناه!، فننصح الاخوة بالالتزام بالآداب والضوابط الشرعية المتعلقة بالأسرار، فبها نقطع الطريق على أعدائنا في الحصول على أسرارنا... والله أعلم.

اليمام، ثم استقام به الطريق على المحجة من طريق مكة... حتى نزل على غران وهي منازل بني لحيان.

وفي فتح مكة المكرمة كانت السرية كبيرة جدا، حتى أن زوج النبي صلى الله عليه وسلم عائشة الصديقة وأبوها الصديق رضي الله عنهما، لم يعلما أين ومن يقصد حتى أخبرهما مع الناس جميعا، عند بدء المسير مما جعل الجيش يداهم قريشا قبل أن تعد له أي عدة.

وفي قصة إفشاء أبي لبابة لسر رسول الله صلى الله عليه وسلم عندما ذهب أبو لبابة إلى بني قريظة لينزلوا على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومعاقبته لنفسه بيان مدى إحساس أحد الصحابة بأهمية حفظ السر وإثم إفشائه ، قال الله تعالى: {يا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لاَ تَخُونُوا اللَّهَ والرَّسُولَ وتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ} [15].

قال عبد الله بن أبي قتادة والزهري: أنزلت في أبي لبابة بن عبد المنذر حين بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بني قريظة لينزلوا على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستشاروه في ذلك فأشار عليهم بذلك وأشار بيده إلى حلقه أي إنه الذبح ثم فطن أبو لبابة ورأى أنه قد خان الله ورسوله فحلف لا يذوق ذواقا حتى يموت أو يتوب الله عليه وانطلق إلى مسجد المدينة فربط نفسه في سارية منه فمكث كذلك تسعة أيام حتى كان يخر مغشيا عليه من الجهد أنزل الله توبته على رسوله فجاء الناس يبشرونه بتوبة الله عليه وأرادوا أن يحلوه من السارية فحلف لا يحله منها إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده فحله فقال يا رسول الله إني كنت نذرت أن أنخلع من مالي صدقة فقال يجزيك [16].

هذا طرف يسير من أخباره صلى الله عيه وسلم، وإلا فالدروس العملية من حياته صلى الله عليه وسلم كثيرة والتي تبين أهمية حفظ السر وخطورة إفشائه.

أما خلفاء الرسول عليه الصلاة والسلام؛ ملئت وصاياهم إلى قادتهم بنصائح كثيرة تحض على كتمان السر ومعرفة الأسرار عن الأعداء، وأهمها وصية أبي بكر رضي الله عنه ليزيد بن أبي سفيان حين أرسله إلى الشام، ووصيته إلى خالد بن الوليد في قتال أهل الردة، وصية عمر بن الخطاب لسعد بن أبي وقاص رضي الله عنهما.

[15] – الآية 27 الأنفال.
[16] – والقصة كاملة في تفسير بن كثير ج3 ص 333.

خاتمة

أخي المجاهد:

الواجب عليك أن تحترس ما استطعت في كتمان سرك في حربك، فإن في ذلك بإذن الله إمضاء تدبيرك، وقطع مكيدة من يكيدك.

واكفف لسانك عن فلتة كل منطق، ينكشف به ما تضمر من أمرك أو تخفيه من سرك.

واعلم أنه قد يستدل بلحن المنطق على حصون السر ومكنون الضمير، ولاتستهن في إظهار سرّك بصغير لصغره ولا بأعجميّ لعجمته، فربّ سرّ مصون قد أذاعوه واطلعوا عليه.

قال ابن المبارك رحمه الله: " تعاهد لسانك إنّ اللّسان سريع إلى المرء في قتله وهذا اللسان يرد الفؤاد يدل الرجال على عقله ".

ولقد قيل: قلوب الأبرار قبور الأسرار.

وكتمان الأسرار قد تطابق على الأمر به الملل.

وقيل: قلب الأحمق في فيه ولسان العاقل في قلبه.

قيل لبعضهم: كيف أنت في كتم السر؟ قال: أستره... وأستر أني أستر!

أخي المجاهد:

الواجب عليك أن تحافظ على أسرار جماعتك وأعمالك وذلك بعدم البوح بشيء منها ولا يجوز

إعطاء الكافرين أسرار المؤمنين، يقول تعالى: {لاَ يَتَخِذِ المؤْمِنُونَ الكَافِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِنْ دُونِ المؤْمِنِينَ ومَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللهِ فِي شَيْءٍ} [17].

كما قال أحد الحكماء: كفى بالمرء خيانة أن يكون أمينا للخونة.

وكانت الحكماء تقول: سرك من دمك.

والعرب تقول: من ارتاد لسره موضعا فقد أذاعه.

وأختم بمقولة اللواء الركن محمود شيت خطاب حول الكتمان، حيث يقول: (إن كتمان النبي صلى الله عليه وسلم نياته حتى عن أقرب الناس إليه وكتمان وقت حركته وتعداد جيشه وتنظيمه وتسليحه، هو الذي أدى الفتح القريب)[18].

إذا كتمان الأسرار من أكبر أسباب انتصار الجيش وإفشاء أسراره من أكبر هزائمه.

والله أعلم

وصلّى الله على سيّدنا محمّد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا مزيدًا

[17] – آل عمران 28.

[18] – من كتاب دروس في الكتمان.